فعلى الرغم من وعي الأهمية الفائقة لممارسة الكفاح المسلح ضد الاحتلال، فقد ظلت هذه الممارسة محصورة ضمن أشكال وصيغ العمل القتالي ذي الطابع الموسمي والاحترافي. وقد أدى وجود قوات الثورة عند تخوم الحدود الخارجية لاسرائيل، واقتصار شكل وعمل المجموعات المسلحة التي نشأت في الداخل على تمثيل الخارج وأداء مهماته كانعكاس له، الى تحديد علاقة الكفاح المسلح بالجماهير داخل المناطق المحتلة، بما هو عمل احترافي ومن شأن مجموعات فدائية، سرية في الداخل، وعلنية في الخارج، من دون ان يكون لهذه الجماهير دور مباشر، أو غير مباشر، فيه، باستثناء كونها رافداً معطاءً له، تمده بالعناصر البشرية وتنتظر منه ان يخلّصها مما هي فيه. أما الطور الجديد من العمل المسلح، الذي انبثق مع الانتفاضة، وتطور بها، فقد غادر الصيغة السابقة في اتجاه العمل النضالي ذي الطابع الشعبي الذي تشرف عليه قوى منظّمة وليس مجموعات مقاومة، أو وحدات قتالية خاصة. ولسنا مثل هذا التحول الكبير بالغ الاهمية في التكتيك التنظيمي الخاص بتشكيل اللجان الشعبية ذات الوظائف المتعددة. فمن بين هذه التشكيلات تظهر «القوة الضاربة» التي يشير اسمها الى طبيعة وظائفها، بطريقة أو بأخرى. وجاء ذكر هذه اللجان، المرة الاولى، في بيان خاص أصدرته القيادة الوطنية الموحدة في شباط (فبراير) الماضي، حمل توقيع «القوة الضاربة». واتضحت وظائف هذه القوة الجديدة، خلال الفترة الزمنية اللاحقة، فبرزت، بوضوح، في مجرى الممارسة العملية، ومن خلال أعمال الحراسة الليلية في المخيمات والأحياء، وجمع المعلومات عن تحركات العدو، وتوفير الحماية للمخيمات، واعطاء الانذارات المبكرة عن تحركات العدو، وقيادة مجموعات رماة الحجارة وملاحقة عملاء العدو والمندسّين، ومطاردة أزلام «روابط القرى» ولصوص وقطعان المستوطنين اليهود وزعرانهم. واثبتت تجربة الشهور الثلاثة الماضية ان القوة الضاربة اشرفت، بنجاح، على عملية اسقاط رؤساء المجالس البلدية والمحلية المعينين. وتابعت استقالات رجال الشرطة العرب. واذا كان ثمة استخلاص من ذلك كله، فهو تراجع الشكل القديم من العمل المسلح أمام المد الجماهيري الواسع الذي بدأ يفرض خياراته النضالية الملائمة والتي تصلح لكل مرحلة من مراحل نضاله، دون غيرها. واستطراداً، تراجعت الخلية المسلحة التقليدية لصالح التشكيل الجديد؛ وتراجع مفهوم الاحتراف النضالي لصالح الكفاح الشعبي، الذي لم يعد من عمل فئة مختارة، او متطوعة، من الشباب المتحمس، بل من عمل ووظيفة جميع الفئات الشعبية والوطنية ومن جميع الفئات العمرية التي تمارس عملاً شعبياً يتصف بشبه العلنية لا يخفي فيه ممارسوه وسائل نضالهم. وهكذا مضى، دون رجعة، الزمن الذي كانت تستمع الجماهير، خلاله، الى البلاغات العسكرية من الاذاعات، فتكتفي بالتعبير عن فرحتها للنجاح الذي تحققه الوحدات، او المجموعات، العسكرية، وتبدي حزنها وأسفها على سقوط الشهداء من بين صفوف هذه الوحدات. ففي التشكيلات الجديدة، دخل الطفل والشيخ والمرأة والشاب، ويشارك فيها التاجر والعامل والطالب والفلاح والموظف وجميع فئات الشعب دون استثناء. وبمعنى آخر، لقد بتنا، بعد ستة شهور فقط من الانتفاضة، ازاء حالة كفاح نوعية جديدة تأخرت عشرين سنة كاملة، لكنها جاءت في النهاية، وجاءت سليمة ومعافاة.

*

* *

كان لا بد لهذه الممارسة النوعية، وعلى جميع المستويات، وفي مراحلها المختلفة، من ان